جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربيـــــة للبنيــن بقنا
قسم التفسير وعلوم القرآن

الابتلاء في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

د/ رفعت عبد الظاهر مبارك

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمـد لله المـنفرد بالبقاء ، الذي خلق الموت والحياة ليبلو عباده أيهم أحسن عملاً ، والصلاة والسلام علي نبي الهدي محمد بن عـبد الله الـذي بعـثه الله رحمة ورسولاً للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلي صحبه ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين .

وبعـد فإن لله تعالي في خلقه سنناً ثابتة تجري وفق قضائه وقـدره ، يتعرض لها عامة الخلق في حياتهم علي تطاول الأزمنة ، يمكـن الـتعرف علـيها بالتأمل في الحوادث للوصول إلي أسبابها ، وبالنظر في السموات والأرض للوقوف علي أسرار خلقها ، وبالسير في الأرض لدراسة أحوال الأمم والمجتمعات وعواقب أمرها ، يستلهم مـنها العـاقل العـبرة ويأخذ منها الدرس لما تتصف به من الثبات والـتكرر والإطراد ، قال تعالي : " **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً** "(١) وقال تعالي : " **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** "(٢) وقال تعالي : " **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** "(٣) .

ومن تلك السنن سنة الابتلاء التي أجراها الله في خلقه علي أشـكال متعددة ، ومقادير مختلفة ليس الإنعام فيها دليل تكريم ، ولا عدمه دليل مهانة ، كما بين الله تعالي ، فقال : " **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ**

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .
(٢) سورة فاطر آية : ٤٣ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ "[1]. وإنما ليظهر الله بها علمه وليميز بها عباده وليعلم الصادقين منهم من الكاذبين ، وهي ظاهرة من المظاهر السننية التي يتعرض لها الإنسان في حياته وبعد مماته ، فيقابلها في الآخرة بالتسليم ، إذ لا حيلة له ولا اختيار ويختلف موقفه منها في الحياة الدنيا علي قدر الإيمان .

وفي هذا البحث يتم دراسة هذه السنة في حياة المؤمن لسببين : ـ

١ ـ أنها ظاهرة متكررة تعرض للمؤمن في حياته تقتضي التأمل المستقل ، والنظر الموضوعي ، والدراسة المعتمدة علي الكتاب والسنة ، وبعيداً عن النظرة المادية البحتة التي تغالي في الإعتماد علي الأسباب ، ولا تجعل للإيمان اعتباراً .

٢ ـ حاجة المؤمن إلي معرفة حقيقة هذه الظاهرة ـ وحكمها ، وكيفية الوقوف علي الصحيح منها ، ليتمكن من التعامل معها بوعي ، ويستثمر حكمها لصالحه في الدنيا والآخرة .

ويأتي هذا البحث مظهراً نظرة الإسلام إلي هذه السنة في حياة المؤمن ، من خلال الخطة الآتية : ـ

التمهيد : معني الابتلاء .

المبحث الأول : سنة الابتلاء .

المبحث الثاني : أنواع الابتلاء .

المبحث الثالث : حكمة الابتلاء .

المبحث الرابع : موقف المؤمن من الابتلاء .

الخاتمة : تتناول أبرز نتائج البحث .

---

(١) سورة الفجر آية من ١٥ ـ ١٧ .

ولا يمكن القول بأن هذه الدراسة استوفت الموضوع من كل جوانبه ، بل أشارت إلي حاجته إلي دراسة أوسع وأعمق ، تعتمد علي منهج الإستقراء التاريخي لحياة الأمم والمجتمعات التي هي المجال الواقعي لهذه السنة في استلهام العبر وأخيراً أسأل الله تعالى أن يلهمني رشدي ويرزقني رضاه ، وصلى الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه ، ومن اتبع هداه إلي يوم الدين .

التمهـــــيد

معني الابتلاء في اللغة العربية :

ترجع مادة الابتلاء إلي بلي ، يقال : بلي الثوب بلي بلاء أي خلَقَ ، وهو مأخوذ من بلَوَ ، يقال : بَلَوْتُ الثوب أي اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له. ومنه في القرآن الكريم قراءة عاصم[١] :" هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ "[٢] أي نختبر كل نفس لنعرف حقيقة ما عملت ،وسمي الله تكليفه إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بلاء في قوله تعالى : " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ "[٣] لأن التكاليف اختبارات للعبد[٤] ولهذا قال الله عز وجل : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ "[٥]

والابتلاء في اللغة يكون في الخير والشر ، قال تعالى :" وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً "[٦] وفرق بعضهم بين الابتلاء والإبلاء ، فجعل الابتلاء من بلو بمعنى الامتحان ، وجعل الإبلاء من أبلا بمعنى الإنعام ، والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما[٧] .

---

(١) الكشاف لأبي القاسم الزمخشري ١٨٩/٢ ط/ دار المعرفة وانظر كتاب غيث النفع في القراءات السبع بهامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي ص ١٢٢ ط/ مصطفي الحلبي .

(٢) سورة يونس آية : ٣٠ .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٦ .

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني /٦١ ط/ دار المعرفة بيروت .

(٥) سورة محمد آية : ٣١ .

(٦) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

(٧) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٥٥/١ ط/ المكتبة الإسلامية ببيروت .

المفردات الأخرى الدالة علي معني الابتلاء :

المحنة : يقال : محنت الثوب محناً إذا لبسته حتى تخلقه ، وهو بمنزلة بلوته[١] فالمحن والامتحان نحو الابتلاء ، ومنه قوله تعالي : " **امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** "[٢] ومنه قوله تعالي : " **إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ** "[٣].

الفتنة : يقال فتنت الفضة والذهب إذا أذيبا بالنار ليتميز الرديء من الجيد ، ومنه قوله تعالى : " **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** "[٤] أي يحرقون بالنار ،وجماع معني الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان[٥] ومنه قوله تعالي : " **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ** "[٦] أي يبتليهم ، ومنه قوله تعالى : " **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** "[٧] أي على اعتبار ما ينال الإنسان من الاختبار بهم وقوله تعالى : " **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** "[٨] أي لا يختبرون فيتميز خبيثهم من طيبهم[٩].

معني الابتلاء في الاصطلاح :

يمكن تعريف الابتلاء اصطلاحاً بأنه : افتتان تظهر به أسرار

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٥ /١٢١ ط/ دار المصرية.
(٢) سورة الحجرات آية : ٣ .
(٣) سورة الممتحنة آية : ١٠ .
(٤) سورة الذاريات آية : ١٣ .
(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٤ /٢٩٦ .
(٦) سورة يونس آية : ٨٣ .
(٧) سورة الأنفال آية : ٢٨ .
(٨) سورة العنكبوت آية : ١ ـ ٢ .
(٩) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني /٣٧٢ ط/دار المعرفة بيروت .

الله في خلقه علي وجه الحكمة[١] أو أنه (ما يدفع إليه الإنسان ــ قدراً ــ من شدة ورخاء)[٢]، وهما تعريفان من جهة ما يقع علي عموم الناس من ابتلاء في الدنيا والآخرة .والمنافقون والكافرون يتعرضون للابتلاء في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالي عنهم في معرض بيان افتتانهم في الدنيا :" **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** "[٣] قال مجاهد (يفتنون أي يختبرون بالسنة والجوع)[٤] ، ويلحق بهما الكوارث الطبيعية التي تحل بالكفار في الدنيا ، وقال الله تعالي عن الكافرين في معرض افتتانهم في الآخرة :" **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** "[٥].

قال ابن كثير (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس ، وتعلم ما أسلفت من عملها كل خير وشر)[٦].

---

(١) التعريفات في غريب القرآن للجرجاني /١٤ والمفردات للأصفهاني /٣٧٢ مادة فتن ـ كتاب الفاء ط/ دار الكتب العلمية .

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني / ٣٧٢ مادة فتن ـ كتاب الفاء .

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٣/٢ دار المعرفة ببيروت عام ١٣٨٨هـ

(٥) سورة يونس آية : ٢٨ ـ ٣٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤١٦/٢ .

أما من جهة ما يقع للمؤمن فإن الابتلاء كما عرفه أبو هلال العسكري : (استخراج ما عند المبتلي وتعرف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة)[١] هذا التعريف قصر معني الابتلاء علي حكمته ، وعلي معني المشقة لأنه ورد في سياق التفريق بين الابتلاء والتكليف ولعل أوسع منه دلالة أن يعرف الابتلاء : بأنه ما يحدث للمبتلي عن حكمة يقتضي رضاه بقدر الله تعالى الجاري في حالي الشدة والرخاء ، ويستوجب الصبر عليها .

ويتبين معني الحكمة إذا علم أن حقيقة الابتلاء تمحيص للنفس يحدث يقظة للذات ،واستنفار القوي الفطرية والمكتسبة يمكنها من مواجهة الظرف[٢].

ويكون الرضا بالابتلاء بعد وقوع القضاء لأنه حينئذ تتبين حقيقته ، أما قبل القضاء فإنما هو عزم عليه لا رضا حقيقة ، وإنما يتحقق بعد القضاء[٣] ويتضح معني تعلقه في أن الابتلاء يقع بعلم الله تعالي ، ويحصل بمشيئته ويرضاه لعبده المؤمن ، ويحبه له ، بل يضاعفه علي أحب الناس إليه من أنبيائه وأوليائه المتقين ، ليرفع به درجاتهم ويقوي به نفوسهم ، ويهيئها لتحمل أعباء رسالاته والقيام بحقه ، قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ (ما رأيت الوجع علي أحد أشد منه علي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ)[٤]، أو ليكفر

---

(١) الفرق في اللغة /٢١٠ ط/ دار الأفاق الجديدة بيروت الطبعة الثالثة عام ١٩٧٩م .

(٢) ظاهرة المحنة لخالص جلبي / ٢٨ ط/ دار القلم عام ١٤٠٠هـ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ط/ دار الكتاب العربي بيروت ٢٢٣/٢ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٣٤٢/١٦ـ ٣٤٣ كتاب الأدب ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن ... الخ والحديث رقم ٦٥٠٢ . والبخاري كتاب المرضي والطب باب شدة المرض ٣/٤ ط/ البهية . وابن ماجه ٤٩٤/١ والحديث رقم ١٦٤٣ كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ ط/ دار الفكر .

بالابتلاء ذنوب عباده العصاة ، ويطهرهم من دنس الآثام حتى يخرجوا من الدنيا وليس عليهم ذنب[١] ، فال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا** ".[٢]

---

(١) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٧٧/٧ مطبعة المعرفة الطبعة الثانية عام ١٣٨٥هـ .

(٢) رواه الترمذي في الزهد باب ما جاء في الصبر علي البلاء وقال حديث حسن غريب رقم/ ٢٣٩٦ . ٥١٩/٤ ط/ مصطفي البابي الحلبي الطبعة الثانية عام ١٣٩٧هـ .

المبحث الأول

سـنية الابتـلاء

خلق الله تعالى الإنسان من نطفة أمشاج ، وفطره في أحسن تقويم ، وزوده بوسائل الإدراك من عقل وسمع وبصر ، يستطيع بها التلقي والإدراك والاستجابة ، ومنحه القدرة على الحكم والاختبار ، كل ذلك وفق حكمة مقدرة وقصد معتبر ، لا عبثاً ، ولا لعباً ، وإنما ليبتلي هذا المخلوق ، قال تعالى : " **لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ** "(١) قال الطبري : معنى الآية (لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونصب)(٢) ولينشأ علي سنة الابتلاء التي جعلها الله غاية لخلقه ، قال تعالى :" **إِنَّا خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** "(٣) وقال تعالى :" **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ *فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** "(٤)

مكان الابتلاء وزمانه :

تمتد الحياة الدنيا من ابتداء خلقها إلى نهايتها لتكون محلاً للابتلاء ــ يقول المحاسبي :(اعلم أن الدنيا كلها : كثيرها وقليلها ، حلوها ومرها ، أولها وأخرها ، وكل شئ من أمرها بلوى من الله تعالى للعبد واختبار)(٥)، ولتكون زماناً للامتحان ، يشمل كل حياة

---

(١) سورة البلد آية : ٤ .
(٢) جامع البيان ١٩٦/٣٠ ط/ مصطفي البابي الحلبي .
(٣) سورة الإنسان آية : ٢ ـ ٣ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥ ـ ١١٦ .
(٥) آداب النفوس ٧٠ ط/ دار الجيل بيروت .

الإنسان منذ تكليفه إلي مماته ، قال تعالى : " **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** "(١) وقال تعالى مقرراً حقيقة وقوع الدنيا محلاً وزماناً للابتلاء : " **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** "(٢) وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبينا أن الدنيا مهيأة لاختبار الإنسان ،ومحذراً مغبة الافتتان بها :" **إن الدنيا حُلوة خَضِرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا** "(٣)

هذه طبيعة خلق الحياة الدنيا تجعل من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه وشدائد تحل بساحته ، فكم يخفق له عمل ، أو يخيب له أمل ، أو يموت له حبيب ، أو يمرض له بدن ، أو يفقد منه مال .

حتى قال الشاعر يصف الدنيا : ــ

جبلت علي كدر وأنت تريدها صفوا من الآلام والأكدار !

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار(٤)

حقيقة سنة الابتلاء :

تستعمل كلمة السُنَّة في اللغة بمعنى الطريقة الجارية(٥)وعرفها ابن تيميه بأنها : (العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل

---

(١) سورة الحجر آية : ٩٩ .

(٢) سورة الملك آية : ٢ .

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء باب الرقاق ٥٨/١٧ رقم ٦٨٨٣ مسلم بشرح النووي ط/ دار المعرفة بيروت .

(٤) الأيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي /١٩٢ ط/ مؤسسة الرسالة.

(٥) أساس البلاغة للزمخشري /٢٢١ ط/ دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

بنظـيره الأول)[١]وقـد بين الله سبحانه في غير موضع من القرآن الكـريم أن السـنة لا تتـبدل ولا تتحول ، قال تعالي : " **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** "[٢] وقـال تعالى :" **اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** "[٣]. يقـول الشوكاني في معني هذه الآيـة : أي سـن الله ذلـك في الأمم الماضية ، وهو لعن المنافقين وأخذهـم وتقتيلهم ، وكذا حكم المرجفين ... قال الزجاج : بين الله فـي الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيثما ثقفوا. " **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** " أي تحويلاً وتغيراً ، بل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء الخلف والسلف[٤]. والهدف من الاستبدال بها هو ما جاء في التعريف لابن تيميه هو أن يفعل في الثاني ما فعل في نظيره أي مـا نزل من العذاب في الأمم السابقة التي كذبت أنبيائها سينزله الله بالذيـن يكذبون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهذه سنة الله في السابقين وكذا سنته في اللاحقين وسنته في خلقه لا تتغير ولا تتبدل وفيه تسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، والله اعلم . وهـذا مـا يمكـن فهمـه من آية سورة فاطر فالمعنيان في الآيتين الكريمتيـن متقاربان. يقول الإمام ابن كثير في معنى قوله تعالى :" **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ** " يعني عقوبة الله لهم علي تكذيبهم رسـله ومخالفتهم أمره. " **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** " أي لا تغير ولا تـبدل بـل هـي جارية كذلك في كل مكذب " ولن تجد لسنة الله

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ٢٠/١٣ ط/ ١٣٩٨هـ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٢ .
(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .
(٤) تفسير الشوكاني ٣ /٤٣٤ طبعة دار الفكر بيروت .

تحويلاً " أي " **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ** "[١]. ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد[٢].

وذلك ليحصل الاعتبار من اقتران الشيء بمثله والعلم بأن حكمه مثل حكمه[٣] ومضت سنة الله في أن يبتلي الإنسان لتظهر عظمة ملك الله تعالـــي لخلقه ، وتصرفه المطلق في عباده ، ومكنون علمه المتعلق بأعمالهم ، وما يستحقون عليه من جزاء[٤] والله سبحانه يعلم بحقيقة القلوب قبل الابتلاء ولكن الابتلاء يكشف للناس ما هو معلوم عند الله تعالي ، مغيب عن علم البشر ليحاسبهم علي ما يقع من أعمالهم ، لا علـــي مجـــرد علمه عنهم ، وهو فضل من الله تعالي وعدل[٥] ، قال تعالـــي مخـــبراً عـــن ســـنة الابتلاء وجريانها علي هذا التقدير في المجـــتمعات البشـــرية فـــي الحقب الزمنية : " **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** "[٦] ، يقول الشوكاني في معني هذه الآية أي هذه سنة الله في عباده وأنه يختبر مؤمنـــي هذه الآمة كما أختبر من قبلهم من الأمم كما جاء به القرآن فـــي غير موضع من قصص الأنبياء وما وقع مع قومهم من المحن ومـــا أختـــبر الله به أتباعه ومن آمن تلك الأمور التي نزلت بهم . " **فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا** " في قولهم آمنا " **وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** " مـــنهم[٧]. والهـــدف من الاستدلال بهذه الآية هو أن سنة الابتلاء لم يـــنجو مـــنها أحد مهما علت مرتبته وكانت منزلته، ومن المعلوم أن

---

(١) سورة الرعد آية : ١١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥٦٩/٣ .
(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيميه ١٩/١٣ .
(٤) طريق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز/٢٢٣ ط/ الشرقية المتحدة للتوزيع ببيروت .
(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٦٣٢/٦ ط/ دار الشروق عام ١٣٩٧هـ .
(٦) سورة العنكبوت آية : ٣ .
(٧) تفسير الشوكاني ٢٧٣/٤ .

الأنبـياء والمرسـلين هم أعلى الناس مرتبة وأشرفهم قدراً وأجلهم مـنزلة ومع ذلك فقد ابتلوا من أقوامهم ولحقهم الإيذاء فصبروا علي ذلك فنصرهم الله قال عز شأنه : " **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** "[١] فـإذا كان هذا شأن الأنبياء لا ينجون من الابتلاء فمن باب أولي أن يبتلي غيرهم من الخلق فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ولعل هذا المعني هو ما يفهم من قوله تعالي : " **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ* وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ** " [٢]

وقد جرت سنة الله في الابتلاء وفق ما ظهر منها علي ما يلي :

١) ابـتلاء جمـيع الناس بالشر والخير ، فيصابون بما يثقل عليهم كالمرض والفقر والشدة ، كما يختبرون بما يريحهم كالنعمة التي تجعـل حـياتهم في رفاهية ورخاء وسعة[٣] ، قال تعالى : " **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** "[٤] . يقـول ابـن كثـير فـي معناها : وقوله تعالى : " **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** " أي نختبركم بالمصائب تارة وبالـنعم أخري فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كمـا قـال علـي بن أبي طلحة عن ابن عباس " ونبلوكم " يقول نبتلـيكم " بالشـر والخير فتنة " بالشدة والرخاء والصحة والسقم

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٣٣ ـ ٣٤ .
(٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد للدكتور / عبد الكريم زيدان /٨١ الطبعة الولي مؤسسة الرسالة .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والهدى والضلال وقوله :" **وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** " فيجازيكم بأعمالكم[١] . ووجه الاستدلال بهذه الآية هو أن الابتلاء يكون لجميع الناس بالشر والخير والصحة والمرض والهدي والضلال والفقر والغنى . . . إلخ . ومن هؤلاء عباده المؤمنين ، قال تعالى مؤكداً علي بلائه للمؤمنين : " **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** "[٢]

يقول صاحب المنار في تفسيره لهذه الآية : إن ما وقع من الابتلاء للأنفس والأموال في غزوة أحد ، والطعن في تلك الواقعة ليس آخر ابتلاء لكم أيها المؤمنون ، بل لا بد أن تبتلوا بعد ذلك بكل هذه الضروب ، وتجري فيكم سنته تعالى في خلقه ، فلا تظنوا أنكم بإيمانكم اعتصمتم بالمنعة وأمنتم حوادث الكون ، فإنه لا بد أن يعاملكم الله تعالى كما يعامل الأمم ، معاملة المختبر المبتلي[٣] .

٢) اختلاف حالة الابتلاء بين الناس علي حسب ما منحهم الله تعالى من المواهب والأرزاق كالعلم والجاه والمال والصحة والولاية ، ليظهر مدي قيامهم بما كلفهم الله فيها من فعل وترك ، وليختبرهم في ما أتاهم الله من نعم[٤]، قال تعالى : " **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** "[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٧/٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .
(٣) تفسير المنار للشيخ محمد عبده ٢٧٤/٤ ط/ دار المعرفة ببيروت .
(٤) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد د/ عبد الكريم زيدان / ٨٤ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٥ .

٣) زيادة الابتلاء وقلته بقدر الإيمان. فمن كان أكثر بلاء ، أي أكثر عرضة للمحن والمصائب وطروق المنغصات والمتاعب ممن دونه إيماناً ، ويشمل الابتلاء كل ما يتأذى به الإنسان من أذى حسي أو معنوي ، فيبتلي الرجل علي حسب دينه أي بقدر قوة إيمانه وشدة يقينه ، فإن كان في دينه صلباً ، أي قوياً اشتد بلاؤه كمية وكيفية ونوعاً ، وإن كان في دينه رقيقاً أي ضعيفاً وناقصاً ولينا رق بلاؤه وكان هيناً سهلاً [١]، ولما كان الأنبياء أقوى الناس إيماناً ، وأشدهم يقيناً كان بلاؤهم أكثر من غيرهم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأن ابتلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حينما سئل : (**أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلي الرجل علي حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، فإن كان في دينه رقة ابتلي علي حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علي الأرض ما عليه خطيئة**)[٢] وإنما كان بلاء الأنبياء أشد من غيرهم (لأن الأنبياء يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء ، ولأنهم لو لم يبتلوا بتوهم اتباعهم فيهم الألوهية ، وليتهون علي الأمة الصبر على البلية ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى[٣] .

٤) جريان سنة الابتلاء وفق مجرى السنن الكونية المطردة والثابتة،

---

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد للدكتور / عبد الكريم زيدان : ٨٩ .

(٢) رواه الترمذي في الزهد باب ما جاء في الصبر علي البلاء وقال حديث حسن صحيح ٥٢٠/٤ رقم /٢٣٩٨ والدارمي ٢٢٨/٢ ط/ حديث أكاديمي باكستان ، وابن ماجه ٤٨٩/٢ ـ ٤٩٠ رقم الحديث ٤٠٨٩ ط/ دار الفكر ببيروت وصححه الألباني في صحيح الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلي الإسلامي ببيروت.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلي المباركفوري ٧ /٧٨ .

فعلى المؤمن أن يكشف هذه السنن ، ويتعرف علي أسبابها ، فيأخذ منها العبرة ، قال تعالى :" قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "(١) ، وذلك أن المؤمن يتعرض لهذه السنن كغيره من سائر الناس ، قال تعالى :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ "(٢) قال الشيخ المراغي في تفسيره للآية (أي والله لنمتحننكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وبعض المصائب المعتادة في المعاش كالجوع ونقص الثمار إذا كان أحدهم يؤمن فيفصل من أهله وعشيرته ، ويخرج صفر اليدين ، حتى لقد بلغ من جوعهم أن كانوا يتبلغون بتمرات يسيرات ، ولا سيما في غزوتي الأحزاب وتبوك ، وبنقص الأنفس بالقتل والموت من احتواء المدينة ، فقد كانت حين الهجرة بلد وباء وحمى ، ثم حسن مناخها ، وفي الآية إيماء إلي أن الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ ، وانتفاء المخاوف ، بل كل ذلك يجري بحسب السنن التي سنها الله لخلقه، فتقع المصائب متى وجدت أسبابها)(٣).

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٥ .
(٣) تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ٢٤/١ ط/ مصطفي البابي الحلبي

المبحث الثاني

أنـواع الابتـلاء ومظاهـره

تصيب المؤمن في الدنيا أنواع كثيرة من الابتلاءات ، يتفاوت قدرها ، ويختلف شكلها ، وتتعدد صورها ، لتتحقق حكمة الله تعالى ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التلون في البلاء فقال : " **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** "(١)

أنواع الابتلاء :

ينقسم الابتلاء في الدنيا والآخرة بالنسبة لعموم المبتلين من المؤمنين والكافرين إلي نوعين : مطلق ومقيد .

فأما المطلق في الدنيا ، فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلي البلاء المطلق في الآخرة .

وأما المقيد في الدنيا ، فالفقر والمرض والخوف وسائر الابتلاءات التي لا تكون بلاء في الدين ، وأما في الآخرة : فالابتلاء بالبعد من الله تعالى ، إما مقيداً بمدة كما يحصل للمؤمن العاصي الذي يعذب في النار على ذنوبه ، وإما مطلقاً أبداً(٢) كما يحصل للمشرك الخالد في النار عقوبة على شركه الذي لا يغفره الله له ، فالابتلاءات في الدنيا ينتفع بها المؤمن إذا كانت من قسم الابتلاء المقيد الذي يستطيع مواجهته بالصبر عليه مثل : المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها ، فإنه يتوجب الصبر

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٥ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١٢٤/٤ ط/ مصطفى البابي الحلبي بمصر .

عليها[١] ، أما إن كانت من المطلق فلا ذلك (أن الكفر بلاء ، ولا معني للصبر عليه ، وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره ، وكذا حق العاصي أن يترك معصيته)[٢].

مظاهر الابتلاء :

يختلف شكل الابتلاء الذي يتعرض له المؤمنون ، ويتفاوت قدره ، ولكل مرده إلي مظهرين إليهما القرآن في قوله تعالى : " **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** "[٣] وفي قوله تعالى :" **وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** "[٤]

المظهر الأول : الابتلاء بالشر :

ويقصد به اختبار الله تعالى عبده بالمضار ليصبر[٥] وليتكشف مدي احتمال المبتلي وثقته بربه ورجائه في رحمته[٦] .

من صوره :

١ ــ أن يبتلي المؤمن بفقد عزيز عليه كأبيه أو أمه أو ولده قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه :" **ما لعبدي مؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** "[٧].

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم /٣٦ ط/ دار الآفاق الجديدة ببيروت.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١٢٤/٤ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٨ .

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني /٦١ .

(٦) طرق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز/ ٢٣٦ .

(٧) رواه البخاري في الرفاق ، باب العمل الذي ينبغي به وجه الله تعالي ١٧٢/٧ ط/ المكتبة الإسلامية بتركيا .

٢ ــ أن يبتلى المؤمن بفقد جزء من جسمه كذهاب بصره أو سمعه أو رجله أو يده ، قال صلي الله عليه وسلم : " **إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة، يريد عينيه** "(١).

٣ ــ أن يبتلي المؤمن بمرض عضال أو فتاك :" سألت عائشة ــ رضي الله عنها ــ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن **الطاعون فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله علي من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد** "(٢)، وفي حديث آخر أن امرأة سوداء أتت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف فادعوا الله لي ، قال :" **إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك . فقالت أصبر ، فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها** "(٣) .

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي يبتلى بها الصالحون كالابتلاء بالخوف والجوع وضيق الرزق والقتل ، قال تعالى إشارة إلى تعدد مظاهر الابتلاء :" **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**"(٤).

---

(١) رواه البخاري في المرضي باب فضل من ذهب بصره ٤/٧ .

(٢) رواه البخاري في الطب باب أجر الصابر في الطاعون ٢٢/٧ .

(٣) متفق عليه رواه البخاري في المرضي باب فضل من يصرع من البرج ٤/٧ رواه مسلم والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن الخ مسلم بشرح النووي ٣٤٧/١٦ رقم ٦٥١٦ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٥٥ .

مصيبة الدين :

هي أعظم ما يبتلى به المؤمن من صور الابتلاء بالشر ، فإنها القاصمة المهلكة ونهاية الخسران الذي لا ربح معه تكون في الكفر بعد الإيمان ، والحرمان الذي لا طمع معه يكون في استصغار الذنوب والإصرار علي المعصية وأول مصائب الدين موت النبي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي انقطع به الوحي من السماء ، وانقطعت به النبوات ، وكان أول ظهور الشر والفساد بارتداد بعض العرب عن الإسلام ، وأول انقطاع عري الدين ونقصانه، وفي غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد[١] ، قال أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ : (فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ ، ولما نفضنا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا)[٢].

وعموماً فإن مصاب الدين لا فداء له ، فهو أعظم من مصيبة النفس والمال لأن المال يخلفه الله تعالى ، وهو فداء الأنفس ، والنفس فداء الدين ، والدين لا فداء له[٣] ، يدل له أنه لما خير يوسف عليه الصلاة والسلام بين أن يصاب في دنياه فيسجن ويكون من الصاغرين ، وأن يصاب في دينه فيصبو إلي النسوة ويكون من الجاهلين ،كما قالت امرأة العزيز للنسوة : " **وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُوناً مِنَ**

---

(١) تسلية أهل المصائب لأبي عبد الله المنبجي /١٧ ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ، باب فضل النبي - صلي الله عليه وسلم - ٥٤٩/٥ وقال حديث غريب صحيح رقم ٣٦١٨ ورواه بن ماجه في الجنائز ، باب ذكر وفاته صلي الله عليه وسلم ٤٩٩/١ رقم ١٦٥٢ ط/ دار الفكر بيروت.

(٣) تسلية أهل المصائب لأبي عبد الله المنبجي /١٩ .

الصَّاغِرِينَ "[١]. لما خير بين الأمرين اختار أهونهما وهو مصيبة الدنيا ، فقال : " **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** "[٢] وكان مما علمه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأمته أن يقولوا : " **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك.. ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا** "[٣] ذلك أن كل مصيبة في دنيا الإنسان قد تعوض بخير منها أو مثلها ، أما مصيبة الدين فخسارة لا تعوض[٤] .

المظهر الثاني : الابتلاء بالخير :

ويقصد به اختبار الله تعالى عبد بالمسار ليشكر[٥] وليظهر مدي إيقانه في فضل الله تعالى عليه ، ومدى خوفه من جحود نعمة الله عليه أو زوالها عنه بسوء عمله.

ومن صور الابتلاء بالخير :

١ ــ أن يبتلي العبد بالغنى وكثرة العرض ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " **فو الله ، ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علي من كان قبلكم ، فتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها وتلهيكم كما ألهتهم** "[٦] .

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٢ .

(٢) سورة يوسف آية : ٣٣ .

(٣) رواه الترمذي في الدعوات باب /٨٠ وقال حديث حسن غريب ٤٩٣/٥ رقم ٣٥٠٢ كتاب الدعوات عن رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ .

(٤) الإيمان والحياة للدكتور / يوسف القرضاوي ١٩٦ .

(٥) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني /٦١ .

(٦) متفق عليه رواه البخاري في الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ١٢٧/٧ ورواه مسلم في الزهد والرقائق ٢٩٧/١٨ بشرح النووي رقم ٢٩٦١ .

٢ ــ أن يبتلى العبد بزينة الدنيا وزهرتها ، قال تعالى : " **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** "(١) وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " **إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها** "(٢).

٣ ــ أن يبتلي العبد بحب الرياسة والجاه فيطلبها ويحرص عليها فيكون فيها هلاكه ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إنكم ستحرصون علي الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة "(٣) واستحقت الإمارة هذا النعت لما فيها من حصول الجاه ونفوذ الكلمة وتحصيل اللذات ، لكنها بئست الفاطمة عند الانفصال عنها لموت أو عزل ، فضلاً عما يترتب عليها من التبعات في الآخرة(٤).

الفرق بين المظهرين :

الابتلاء بالخير أشد وطأة من الابتلاء بالشر وإن خيل للناس أنه دونه ، فإن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة التي تصمد للابتلاء بالخير(٥) ، وذلك أن القيام بحقوق الصبر مع

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الزكاة وباب الصدقة علي اليتامى ١٢٧/٢ ، ورواه مسلم في الزكاة ، باب ما يخرج من زهرة الدنيا ١٤٤/٧ مسلم بشرح النووي رقم /٢٤٢٠ .

(٣) رواه البخاري في الأحكام ، باب ما يكره من الحرص علي الإمارة ١٠٦/٨

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٢٩١/٨ ط/ مصطفي البابي الحلبي بمصر .

(٥) في ظلال القرآن السيد قطب ٢٣٧/٤ .

الابتلاء بالشر أيسر من القيام بحقوق الشكر مع الابتلاء بالخير ، ولهذا التعليل تكون المنحة أشد من الامتحان[١] ، ويؤكد الغزالي على حاجة الإنسان إلي الصبر عندما يبتلي بما تهواه نفسه من الصحة والسلامة والمال والجاه وجميع الملاذ ، فيقول : (ما أحوج العبد إلي الصبر علي هذه الأمور ، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلي البطر والطغيان)[٢] كما قال تعالي : " **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** "[٣] وقد استشعر الصحابة الفرق في الموقف من البلاءين ، قال عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ (ابتلينا مع رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ بالضراء فصبرنا ، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر)[٤]

نعم إن الابتلاء بالشدة قد يمنح الإنسان العزم ، ويستحثه علي الصبر ، ويجند قواه للمقاومة ، فيقدر علي الصمود وتحمل الشدة ، أما الرخاء فينيم الأعصاب ، ويفقد العقل قدرته علي اليقظة والتحكم ، والنفس قدرتها علي المقامة ، لذلك يجتاز كثير من الناس مرحلة الشدة بنجاح حتى إذا ابتلوا بالرخاء سقطوا فيه إلا من عصم الله تعالي[٥] من أنبيائه ، وأعان من أوليائه الذين لا تفوتهم خيرية البلاء في حالي الشدة والرخاء ، ممن شملهم وصف رسول الله

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني /٦١ .

(٢) إحياء علوم الدين ٦٨/٤ .

(٣) سورة العلق آية : ٦ ـ ٧ .

(٤) رواه الترمذي في صفة القيامة باب /٣٠ وقال حديث حسن ٥٥٣/٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ رقم ٢٤٦٤ .

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٣٧٧/٤ .

صلى الله عليه وسلم ـ : " **عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خير له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له** "[1]

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير رقم ٧٤٢٥ ط/ دار المعرفة.

المبحث الثالث

حكمة الابتلاء

يقع الابتلاء وفق حكمة مقدرة وتدبير قاصد ، وينتهي إلى ما شاء الله من العواقب ، وقد تنكشف حقائق الحكمة الإلهية ، ويظهر أثر التدبير الرباني من المحن ليدركها الناس وينتفعوا بها، ويزدادوا ثقة بخالقهم ، وإيماناً مع إيمانهم ، ومع هذا فالمؤمن يرجو ألا يتعرض لبلاء أو محنة ، ويتطلع إلي عافية الله ورحمته ، فإذا أصابه بلاء من الله رضي وحمده وهو يدرك أن وراءه حكمة ، وسلم لمشيئة الله وهو يرجو عون الله ، ويأمل رحمته وفضله[1].

وتنكشف حكمة الله في الابتلاء في وجوه عدة منها :

أولاً : إظهار الناس علي حقيقتهم :

فليس مثل الابتلاء في كشف باطن الناس ، وما يدعونه من إيمان وصدق وزهد وصبر مثلاً ، فإنه في حال الرخاء كل يدعي الإيمان ويتظاهر بالعبادة ، لكن حين تضطرب الدنيا ، وبتعرض هذا المدعي للمحنة تتبين الحقيقة التي لا تعرف إلا عن طريق الابتلاء ، وقد حكي القرآن الكريم خبر ضعيف الإيمان الذي يتخذه صفقة يتمسك به في سوق المصلحة ما دام يدر ربحاً ، ويحقق له نفعاً ، فإذا تعرض للفتنة انقلب علي وجهه ، وظهرت حقيقة أمره قال تعالي : " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** " [2]

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٢٩٩/٦ .

(٢) سورة الحج آية : ١١ .

وعن حال مدعي آخر قال تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ" (١)

ويبين القرآن كذلك أن الابتلاء محط يميز الخبيث من الطيب، قال تعالى : " مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ " (٢) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي لابد أن يعقد شئ من المحنة يظهر فيه وليه ، ويفضح به عدوه، ويعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر)(٣).

ثانياً : تطهير النفوس من شوائب الكفر والنفاق :

ذلك أن الابتلاء يخلص النفوس من كل شائبة تكدر صفو الإيمان ، ومن كل رياء يفسد القلوب فإن الإنسان في حال الرخاء قد يدعي الإيمان ويتظاهر بالصالحات ، ولا يكشف حقيقته إلا المحن وهي كالكير للعبد الذي يسبك به حاصله ، فإما أن يخرج ذهباً أحمر ، وإما أن يخرج خبثاً كله ، فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم في الآخرة ، ولا ريب أن كير الدنيا ومسبكها خير للعبد من كير الآخرة(٤) ، وهكذا فإن المحنة مكن أعظم عوامل تكوين الإيمان ونموه وصلابته ، وتمكين صاحبه من الصمود في وجه العوادي والنائبات ، ففي نار المحنة يذهب الخبث ، ويبقي الطيب ،

---

(١) سورة العنكبوت آية : ١٠ ـ ١١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٩ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٣٣/١ .
(٤) زاد المعاد لابن القيم ١٩٤/٤ بتصرف ط/ مؤسسة الرسالة.

ويقوي الخالص ، ويخرج معدناً مصقولاً جميلاً متماسكاً إلي أبعد الحدود[١] ، وفي القرآن جاء المثل الناري في سورة الرعد يعبر عن هذا المعني، قال تعالي : " **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** "[٢]

وتستقر المحنة قوى المبتلين ــ وتشحذ طاقاتهم ، وتفتح في قلوبهم منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن من نفسه إلا تحت مطارق الشدائد وضغط الأحداث[٣] ، فتربي النفوس علي الصبر ، وتمتحن القلوب للتقوى ، ويصلب العود وتثبت في مواجهة أعداء الله من شياطين الإنس والجن وشهوات النفس ونزغات الهوى ، وفي القرآن تتكرر صور البلوى للمرسلين والصالحين لهذا الغرض ، ومن تلك السور سورة يوسف عليه السلام ، وهو محاط بإغراءات الشهوة، حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وغلقت الأبواب ، وقالت : هيت لك . لقد ثبت يوسف عليه الصلاة والسلام علي العفة، وصبر علي البلوى ، ويقول ابن تيمية (كان صبر يوسف عن مطاوعته امرأة العزيز علي شأنها أكمل من صبره علي إلقاء إخوته له الجب ، وبيعه وتفريقه بينه وبين أبيه ، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره ، ولا كسب له فيها ، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر ، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضي ومحاربة النفس ، ولا سيما مع الأساليب التي تقوي معها دواعي الموافقة)[٤] ، والقيان

---

(١) ظاهرة المحنة لخالص جلبي / ٥٥ ط/ دار القلم.
(٢) سورة الرعد آية : ١٧ .
(٣) طريق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز /٢٢١ .
(٤) مدارج السالكين ١٥٦/٢ .

بهذا العمل ، وهذه صورة أخري ، صورة صبر المؤمنين في غزوة الأحزاب ، وقد تألبت عليهم قريش ويهود ، وحاصروهم في ديارهم ، وهم يفوقونهم عدداً وعدة ، قال تعالي : " **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** "[١] ومع هذه الشدة كانت ثقة المؤمنين بالله وإيمانهم بموعده وصبرهم علي قدره ورضاهم بقضائه مصدراً لاطمئنانهم ، ومعتمداً في التغلب علي بلواهم ، قال تعالي واصفاً موقفهم هذا : " **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** " [٢].

ثالثاً : تكفير سيئات المبتلي ، ونبله الأجر بغير حساب:

ذلك أن المبتلي إذا صبر علي البلوى ، وأحتسب أجرها كفر الله عنه سيئاته ، وتجاوز عن هفواته ، وحط عنه ذنوبه ، وأعظم ثوابه ، قال صلي الله عليه وسلم:" **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء** " [٣] وقال صلي الله عليه وسلم :" **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**"[٤] ، وفي هذا المعرض يبين ابن تيميه أن المؤمن إذا أوذي علي إيمانه بأن يطلب منه الكفر والفسوق والعصيان ، فإن لم يفعل أوذي وعوقب فاختار الأذى والعقوبة علي ترك دينه كالحبس أو

---

(١) سورة الأحزاب آية : ١٠ ـ ١١ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٢ .

(٣) رواه الترمذي في الزهد ، باب ما جاء في الصبر علي البلاء وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه ٥١٩/٤ رقم ٢٣٩٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في المرضي ، باب ما جاء في كفارة المرض ٢/٧ ، ورواه مسلم في البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن ٢٤٦/١٦ شرح النووي رقم ٦٥١٢ .

الخروج من بلده ، مثل ما جري للمهاجرين حين اختاروا فراق الأوطان علي فراق الدين ، وكانوا يعذبون ويؤذون ، أو أوذي المؤمن بسبب طاعة الله تعالي ورسوله هو بذلك علي طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من المهاجرين الأولين ، فهو مثاب علي ما يؤذي به ، ويكتب له عمل صالح ، كما يثاب المجاهد علي ما يصيبه من الجوع والعطش ، وعلي غيظه الكفار(١).

كما أن المبتلى إذا صبر علي المصيبة نال الله عليه عند الملائكة واستحق الرحمة ، وفاز بالثواب من غير حساب ، قال تعالي : " **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** "(٢) وقال تعالي : " **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** " (٣)

وهكذا تظهر حكمة الله في الابتلاء ليكون مطهراً للنفس من أدناس الذنوب ، منقياً لها من رجس الآثام ، قال صلي الله عليه وسلم : " ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي علي الأرض ما له خطيئة)(٤). فما أعظم الثواب الذي ادخره الله تعالي للمبتلي ! وما أجزله !وما أنفعه للمحتسب يوم القيامة ! قال صلي الله عليه وسلم : " **يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم**

---

(١) أمراض القلوب وشفائها /٢٠ ، ٢١ ط/ السلفية بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة آية : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) سورة الزمر آية : ١٠ .

(٤) رواه الدارمي في الرقاق باب أشد الناس بلاء ٢/٧٧٦ رقم /٢٧٨٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ١٠٠٣ .

كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض " [١] قال بعض السلف : " لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس " [٢]

رابعاً : ارتفاع منزلة المبتلي عند الله تعالى[٣] والفوز بمحبته :

فإن المبتلي يدرك بالمحنة الدرجة الرفيعة عند الله تعالى التي لا يبلغها بعمله في الدنيا قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله لبلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبر حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه" [٤]وفي رواية : " إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما يبلغها بعمله فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغها "[٥] وترتفع درجة المبتلي بما يصيبه من مكروه قل أو كثر قال صلي الله عليه وسلم : " إن الصالحين يشدد عليهم وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت به عند خطيئة ورفع بها درجة " [٦] وذلك خير للمؤمن من يضعف بالابتلاء في استخراج أدواء لو بقيت أنقصت ثوابه وأنزلت درجته مثل ما ينفعه الله الجسد بالدواء الذي يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته ، فكيف إذا كان ينال به تمام الأجر ، وعلو المنزلة ، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن

---

(١) رواه الترمذي في الزهد باب /٥٨ وقال حديث غريب ٥٤١/٤٨ رقم ٢٤٠٢ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١٩٢/٤ .

(٣) الابتلاء والمحن في الدعوات للدكتور / محمد أبو فارس ٣٨/٣٧ ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة.

(٤) رواه أحمد ٢٧٢/٥ ورجاله ثقات إلا أن رواية خالد السلمي عن أبيه لم يرو عنه إلا ابنه محمد ، وأبوه اختلف في اسمه ، لكن إبهام الصحابي لا يضر . فتح الباري لابن حجر ١٠٩/١٠ .

(٥) رواه أبو يعلي ورجاله ثقات مجمع الزوائد للهيثمي ٢٩٩/٢ .

(٦) رواه أحمد ١٦٠/٦ ورجاله ثقات مجمع الزوائد للهيثمي ٢٩٩/٢ ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

من عدمه[١]، كما قال صلى الله عليه وسلم : " **عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ٠ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له** "[٢] .

ويكفي المبتلي عوضاً عما يناله من بلوى ما يتحصل عليه بكلمات الحمد والاسترجاع علي ما أصابه من منزلة عالية تبوئه بيت الحمد في الجنة ، في الحديث يقول الله تعالى لملائكته : " ماذا قال عبدي ؟ ، فيقولون حمدك وأسترجع ٠ فيقول الله تبارك وتعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد "[٣].

ويحظى المبتلي كذلك بمحبة الله تعالى وإرادة الخير له قال صلي الله عليه وسلم : " إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عند بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة "[٤] وقال صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خير يصب منه "[٥] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١٨٦/٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير ٣٢٥/١٨ شرح النووي رقم ٧٤٥٢ .

(٣) رواه الترمذي في الجنائز باب فضل المصيبة إذا أحتسب وقال حديث غريب ٣٤١/٣ رقم ١٠٢١ .

(٤) رواه الترمذي في الزهد ، باب ما جاء في الصبر علي البلاء ، وقال حديث حسن ٥١٩/٤ رقم ٢٣٩٦٠ والحاكم ٦٥١/٤ رقم ٨٧٩٩ كتاب الأهوال ٠

(٥) رواه البخاري ٢/٤ كتاب المرضي والطب باب ما جاء في كفارة المرض ط/ البهية ٠

المبحث الرابع

موقف المؤمن من الابتلاء

يتعرض المؤمن في الدنيا للابتلاء لا محالة إمضاء لسنة الابتلاء التي لا تحابي أحداً علي كر العصور والأزمنة قال تعالى : " **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً** "[١] ولا ريب أن معرفة طبيعة السنة تقتضي أن يتعامل معها المؤمن بوعي علي أنه إنسان غير محابي ولا مستثني ، وأن يستثمر حكمها في صالحه بما يمكنه من تجاوز آثارها ، واستدرار منافعها ، في حين أن تجاهل ذلك أو الغفلة عنه يورث هزيمة النفس أمام آلام البلوى ومصاعبها[٢] .

استدعاء الابتلاء :

إذا كان الابتلاء يحقق حكماً عظيمة ، ويعود علي صاحبه بمنافع جمة ، فهل للمؤمن أن يستدعي البلاء ويعمل علي وقوعه ، ولا يحرص علي دفعه لتطول مدته وينتفع بآثاره ، ويثاب عليه ؟

للإجابة علي هذا الاستفهام لابد من التوضيح أنه لا وجه لذلك من عدة أمور : ــ

* أن المؤمن مطالب بتوقي الأذى ولا يجب عليه مقابلته أو قصد التعرض له بل عليه أن يتوقاه حسب الظروف والأحوال ، ومن ذلك لقاء العدو ، قال صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .
(٢) ظاهرة المحنة لخالص جلبي /١٨ .

فاصبروا "[١]. وقال صلى الله عليه وسلم : " سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة "[٢] .

* أن الابتلاء صعب علي النفس ، فلا يجوز الحرص عليه ولا الرغبة فيه لذا كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستعيذ منه في دعائه فيقول : " أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة "[٣].

* أن الابتلاء مجهول العاقبة فقد يحس المؤمن من نفسه القدرة علي الثبات ومن ثم لا يبالي بالابتلاء فإذا نزل به ضعف عن التحمل ووقع في الافتتان فإنه جاء في الحديث : " لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق "[٤].

* أن الله جعل للمكره مندوحة ، أن يقول كلمة الكفر تخليصاً لنفسه من الأذى والتلف ، فكيف يعرض نفسه لهما ، قال تعالى : " **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ* مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** "[٥]. قال القرطبي (أجمع أهل العلم علي أن من أكره علي الكفر حتى خشي علي نفسه القتل

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد باب كان النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى نزول الشمس ٩/٤ ورواه مسلم في الجهاد ، باب كراهة تمني لقاء العدو ٢٧٢/١٢ شرح النووي رقم ٤٥١٦ .

(٢) رواه ابن ماجة في الدعاء باب الدعاء بالعفو والعافية ٤٣٤/٢ ـ ٤٣٥ رقم ٣٩١١ ط/ دار الفكر ببيروت وقال العراقي في المغني في تاريخ أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي ١٣١/٤ : إسناد جيد .

(٣) رواه أحمد ١٨١/٤ قال الحافظ العراقي في المغني في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي ١٣١/٤ : إسناد جيد .

(٤) رواه الترمذي في الفتن ، باب /٦٧ وقال حديث حسن غريب ٤٥٣/٤ رقم ٢٢٥٤ .

(٥) سورة النحل آية : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان)[١].

* أن الله شرع الهجرة من دار الكفر تخلصاً من الأذى : قال تعالي : " **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً** "[٢] فقد هاجر الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ من مكة إلي الحبشة حيث الأمان فراراً من العذاب الذي قد يصيبهم من جراء البقاء في مكة والتعرض للابتلاء ،قال القرطبي:(الفرار من الأذية في البدن .. فضل من الله أرخص فيه ، فإذا خشي علي نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من هذا المحذور)[٣].

* أن النفوس فطرت علي الحذر من دواعي المرض ، وتحاشي المصائب ، ودفعها بالعلاج ، ومن فعل ذلك لم يقدح في إيمانه[٤]بل من الإيمان اتخاذ الأسباب الواقية من الوقوع في البلاء والدافعة له.

ويتحصل من هذه الأمور أنه مهما يكن للابتلاء من حكم ومنافع فإنه ليس أفضل للمؤمن في الدنيا من العافية ، ذلك أن البلاء كما يقول الغزالى (لا يصير نعمة إلا باعتبارين : أحدهما بالإضافة إلي ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين ، والآخر بالإضافة إلي ما يرجى من الثواب ، فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ، ودفع ما فوقه من البلاء ، ونسأله الثواب في الآخرة علي الشكر علي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٢/٢٠ ط/ دار التراث العربي ببيروت.
(٢) سورة النحل آية : ١٠٠ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٥٠/٥ .
(٤) أصول الدعوة للدكتور / عبد الكريم زيدان /٣٥٥ .

نعمته فإنه قادر علي أن يعطي علي الشكر ما لا يعطيه علي الصبر)[١] .

موقف المؤمن من الابتلاء :

إذا استحكم القضاء ، ووقع البلاء ، فإن المؤمن يقف من الابتلاء المواقف الآتية : ــ

أولاً : أن يسلم لأمر الله وقضائه : فلا ييأس علي ما فاته ، ولا يفرح بما جاءه ، ويوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، قال تعالي : " **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** " [٢] فما فائدة مشاعر التسخط والأسي أو الزهو والفرح وهي لا ترد قضاء ، ولا تمنع قدراً ، بل تعود عليه بالحزن أو الغرر،فتضاعف مصابه، وتصيبه بشيء من الجزع ، وكان قادراً علي أن يدفعها بالحمد، ويبدلها ثواباً بالتسليم ، قال صلى الله عليه وسلم : " **فمن رضي فله الجنة ، ومن سخط فله السخط** "[٣]

ثانياً : أن يستعين المبتلي بالله في محنته ، ويتكل عليه في مصيبته، ويطلب عونه على بلوه ، ويستبق ثقته برحمته وقدرته علي كشف ضره ، ويأمل في عوضه وجزائه(فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء لشهود العوض . . .

---

(١) إحياء علوم الدين ١٣١/٤ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) رواه الترمذي في الزهد ، باب ما جاء في الصبر علي البلاء ٥١٩/٤ رقم ٢٣٩٦ .

كما يخف علي كل متحمل مشقة عظيمة حملها لما يلاحظه من لذة عاقبتها ، وظفره بها)[١]

وليحذر من أن يفقد ثقته في عون الله له في الدنيا مهما اشتد الخطب وعظم المصاب ، أو أن يقنط من رحمة الله في المحنة فإن فعل فما ذلك بمبدل ما به من البلاء. قال تعالي :" **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** "[٢] لا يذهب غيظه ولا تندفع بلواه ، بل يفقد كل نافذة مضيئة ،وكل رجاء في الفرج ،ويستبد به الضيق ويثقل علي صدره الكرب ، ويزداد بلاء علي بلائه وكرباً علي كربه[٣] .

ثالثاً : أن يعلم المبتلي أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه ،ولا ليعذبه به،وإنما ليمتحن إيمانه وصبره ورضاه ،وليسمع تضرعه وابتهاله ،وليراه طريحاً ببابه ، لائذاً بجنابه ، مكسور القلب بين يديه ،رافعاً الشكوى إليه، قال عبد القادر الجيلاني(يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك ، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك .يا بني القدر سبع ، والسبع لا يأكل الميتة)[٤]

رابعاً : أن يتحمل المبتلي ما أصابه علي أنه خير له:فإن الله سبحانه وتعالي لا يقتضي لعبده المؤمن قضاء إلا خيراً له ، ساءه ذلك القضاء أو سره ، فما يقضيه الله من المنع لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صور المنع ، ونعمة وإن كانت في صورة

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٦٦/٢ ط/ دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) سورة الحج آية : ١٥ .

(٣) طريق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز / ٢٣٠ .

(٤) زاد المعاد لابن القيم ١٩٤/٤ .

محنة وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية ، ولكن لجهل العبد وظلمه وقصر نظره لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما إلتذ به في العاجل ، وتمتع به في القريب ، وكان ملائماً لطبعه[١] خالياً من الأذى ، وما علم أن في ذلك شحذ قواه وعلو همته ، وتكفير سيئاته ، ورفع درجاته ، ومضاعفة حسناته . ذلك أن الابتلاء بالنعم والمصائب يدخل في معني الخير المطلق الذي يريده الله لعباده ، فهو الوسيلة إلي تحقيق التمييز بين النفوس الطيبة والخبيثة[٢] ، وكشف خباياها ومعرفة صبرها ورضاها ، هذا التمييز خير للمؤمن إن حدث أحياناً في حال من الشدة ، والمشقة عليه .

خامساً : أن يدفع المبتلي مرارة الألم وشدة المصيبة في الدنيا برجاء ثواب الله تعالي في الآخرة : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " **ما يصيب المسلم من نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه** "[٣] فقد أصاب أحد الصالحين شئ في قدميه فلم يتوجع ، ولم يتأوه ، بل ابتسم واسترجع ، فقيل له : يصيبك هذا ولا تتوجع! فقال : إن حلاوة ثوابه أنستني وجعه "[٤].

سادساً : أن يتذرع المبتلي بالصبر : فمهما استحكمت الأزمات ، وتعقدت حبالها ، وترادفت الضوائق ، وطال ليلها ، فالصبر وحده يشع للمسلم النور العاصم من اليأس ، والهداية الواقية

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢ /٢١٥ .

(٢) ابتلاء الإرادة لعبد الرحمن الميداني /٨١ ط/ دار القلم ببيروت.

(٣) رواه البخاري في كتاب ـ المرض ، باب ما جاء في كفارة المرض ٢/٤ رقم ٥٦٤١ .

(٤) الإيمان والحياة الدكتور / يوسف القرضاوي / ١٩٨ .

من القنوط ، وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي وصف الصبر فقال : " **الصبر ضياء** "[١] فهو يضئ طريق المؤمن مهما اشتدت ظلمته ، ويهون الأمور مهما عظمت خطوبها ، وهو قرين الظفر في جميع الأحوال ، فإن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، والعسر مع اليسر ، وأعظم ما يظفر به المبتلون الصابرون معية الله التي وعد بها عباده، فقال : " **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** "[٢] ، وهو أخيه المؤمن يجول في هذه الدنيا ثم يرجع إليه ، يستعين به علي نوائب الدنيا والدين ، امتثالاً لقوله تعالى :" **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** "[٣] ويعتمد عليه في الشدائد موقناً بأنه مع التقوى خير سلاح يبطل كيد المعتدين ، قال تعالي :" **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** "[٤] وليعلم أن الصبر علي ابتلاء التكليف بفعل الطاعة واجتناب المعصية أكمل من الصبر على أحكام الله القدرية صبر ضرورة ،يتساوى في وقوعها المؤمن والكافر لذا كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام علي ما نالهم في دعوتهم إلي الله تعالى باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم أكمل من صبر أيوب عليه الصلاة والسلام فما ناله في جسده وماله وولده من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسبباً عن فعله[٥].

---

(١) رواه مسلم في الطهارة ، باب فضل الوضوء شرح النووي ٦٧/٣ رقم ٥٣٣ ط/ دار المعرفة بيروت.

(٢) سورة الأنفال آية : ٤٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٤٥ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٠ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ١٩٦/٢ .

سابعاً : أن يطفئ المبتلي نار مصيبته ببرد التأسي بأهل الابتلاء : ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسره فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم يرى فيهم إلا مبتلي بفوت محبوب ، أو حصول مكروه ، وأن شرور الدنيا أحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرت يوماً ساءت دهراً ، وإن متعت قليلاً ، منعت طويلاً ، وما ملأت داراً فرحة إلا ملأتها عبرة ، ولا سرته يوم سرور إلا خبأت له يوم شرور ، قال ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ : (لكل فرحة ترحة ، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً)[١].

ثامناً : أن يهون المبتلي ما نزل به من بلية بتصور نزول أعظم منها : فإن كل مصيبة يوجد هناك ما هو أكبر منها فقد قيل : (بعض الشر أهون من بعض) والمؤمن ينظر بعين بصيرته فيحمد الله تعالى على أمرين : ــ

أولهما : دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر .

ثانيهما : بقاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامرة وفضل جزيل، فهو ينظر إلي النعمة الموجودة قبل أن ينظر إلي النعمة المفقودة وينظر إلي البلاء المتوقع بجانب نظره إلي البلاء الواقع ولا ريب أن هذا يحدث الإرتياح والرضا في نفس المبتلي[٢] وأن يهون المبتلي شدة البلية بتلمح سرعة زوالها : فإنه لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحة وليعلم أن مدة مقامها كمدة مقام الضيف الذي يتفقد حوائجه في كل لحظة ويتهيأ للرحيل في كل ساعة فكذلك المؤمن في الشدة

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٤/١٩٠ .

(٢) الإيمان والحياة للدكتور / يوسف القرضاوي /١٩٧ .

ينبغي له أن يتفقد أحوال نفسه ويراقب جوارحه مخافة أن يبين لسانه كلمة تسخط ، ومن قلبه قنوط ، فأن الشدة تفتأ أن تزول ، ويلوح فجر السلامة[١] وأن لا يستطيل زمن البلاء ويضجر من طول الرجاء : فإن المؤمن متعبد بالدعاء فإنه كما قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " **لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله ، كيف يستعجل ؟ قال : دعوت ربي فلم يستجيب لي** "[٢] وليتأس بيعقوب عليه الصلاة والسلام الذي لم يتغير رجاؤه في أن يرد الله إليه أبنيه علي طول فقده لهما فقد كان قوله :" **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً** "[٣] ، فلا ييأس من روح الله تعالى وأن طال البلاء[٤] وعظم الافتتان .

شبهة : قد تجول في بعض العقول شبهة حين ترى أكثر الكفار والعصاة وأعداء الدين متروكين ممتعين في ظاهر الأمر بالقوة والمال والجاه كما هو حال الكفار المعاصرين مما يوقع الفتنة في قلوبهم ، وقد يحملهم علي الظن بالله ظن الجاهلية ، فيحسبون أن ما عليه هؤلاء هو الحق ، وإلا لم يمتعوا ويمكنوا ثم يغلبوا في كل مرة ، إلي غير ذلك من الخواطر والشبهات الباطلة والوهم والظن الفاسد .

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ٧٣ ط/ دار الكتاب العربي ببيروت .

(٢) رواه أحمد ١٩٣/٣ وفيه أبو هلال الراسبي وهو ثقة ، وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح ـ انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٤٧/١٠ .

(٣) سورة يوسف آية : ٨٣ .

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي ٣٧٥ .

والجواب على هذه الشبهة من عدة وجوه : ــ

الوجه الأول :

أن الأمر ليس كما يظن هؤلاء فإن ما يرونه من إملاء الله لهم، وما يتمتعون به من حظوظ الدنيا إنما هو فتنة استدراج[١] أو طيبات عجلت لهم ثم ينتظرهم العذاب المهين ، قال تعالى :" **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** "[٢] .

الوجه الثاني :

أن الأمور لا يحكم عليها بمجرد ظاهرها ، فعسى أن يكون الأمر في ظاهرها مكروهاً ، ويجعل الله في باطنه خيراً كثيراً ، قال تعالى : " **فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** "[٣]

الوجه الثالث : ـ

أن تمام الكلام في إبطال هذه الشبه قد بينه ابن القيم فيما يلي : ــ

١ ــ أن ما يصيب المؤمن من المحن والأذى والشرور دون ما يصيب الكفار ، والواقع شاهد بذلك ، وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدنيا دون ما يصب الفجار والفساق والظلمة بكثر .

٢ ــ أن ما يصيب المؤمن في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب، وذلك يخفف عنه ثقل البلاء ومؤنته، فأنه كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء ، والكفار لا

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٥٤/١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٨ .
(٣) سورة النساء آية : ١٩ .

رضا عندهم ولا احتساب ، وإن صبروا فصبر البهائم ، وقد نبه تعالى علي ذلك بقوله : " **وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً** "(١) فاشتركوا في الألم وامتاز المؤمنون برجاء الأجر الزلفى من الله تعالى .

٣ ــ أن ما يصب المؤمن في الدنيا من إدالة عدوهم عليهم ، وغلبته لهم ،وأذاه لهم في بعض الأحيان من قبيل التمحيص والتهذيب قال تعالى مبيناً حكمة إدالة الكفار علي المؤمنين يوم أحد : " **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** "(٢) كما أن هذه الإصابة أمر لازم لابد منه فهو كالحر الشديد والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم تلك مما فطرت عليه الطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار اقتضته الحكمة الإلهية فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر واللذة عن الألم لكان ذلك عالماً غير هذا وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين هذه الأمور المتضادة وإنما يكون هذا التجرد في الدار الآخرة لا دار الدنيا التي خلقت علي صفة هذا المزج.

٤ ــ أن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٩ ـ ١٤٠ .

وإن كان في الظاهر بخلافه ، قال الحسن :(إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية لفي قلوبهم أبي الله إلا أن يذل من عصاه)[١]

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٨٥/٢ .

المراجـــــــع

١ ــ (آداب النفوس) لأبي عبد الله حارث بن أسد المحاسبي تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط/ ١٩٨٤م دار الجبل بيروت .

٢ ــ (أساس البلاغة) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق عبد الرحيم محمود ، ط/٢ عام ١٣٩٩هـ ، دار المعرفة بيروت .

٣ ــ (أصول الدعوة) للدكتور عبد الكريم زيدان ، ط/٣ عام ١٤٠٩هـ ، مؤسسة الرسالة .

٤ ــ (أمراض القلوب وشفاؤها) لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيميه ، ط/ ٢ عام ١٣٩٩هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة .

٥ ــ (إحياء علوم الدين) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ط/ عام ١٣٩٨هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٦ ــ (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٧ ــ (الإيمان والحياة) للدكتور يوسف القرضاوي ط/ ٢ عام ١٣٩٥ هـ ، مؤسسة الرسالة .

٨ ــ (ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة) لعبد الرحمن حبنكه الميداني ط/ ١ عام ١٤١٦هـ ــ دار القلم بيروت .

٩ ــ (الابتلاء والمحن في الدعوات) للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة .

١٠ ــ (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي) لأبي العلي محمد

عبد الرحمن المباكفوري راجعه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط/ ٢ عام ١٣٨٥هـ ، مطبعة المعرفة.

١١ ـ (تسلية أهل المصائب) لأبي عبد الله محمد بن محمد المنبجي، ط/ عام ١٤٠٩هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

١٢ ـ (التعريفات) لعلي الجرجاني ، طبعة دار الكتب العربية.

١٣ ـ (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ط/ عام ١٣٨٨هـ ، دار المعرفة ببيروت .

١٤ ـ (تفسير المراغي) لأحمد مصطفى المراغي ، ط/٥ عام ١٣٩٤هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٥ ـ (تفسير المنار) لمحمد عبده إعداد السيد محمد رشيد رضا ، ط/ مطبعة دار المعرفة ببيروت.

١٦ ـ (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الدار المصرية للتأليف والنشر.

١٧ ـ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط/ ٣ عام ١٣٨٨هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٨ ـ (الجامع لأحكام القرآن)لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار التراث العربي بيروت.

١٩ ـ (رياض الصالحين) لأبي زكريا يحيي بن شرف النووي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط/ ٥ عام ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة.

٢٠ ـ (زاد المعاد في هدي خير العباد) لأبي عبد الله محمد بن أبي

بكر المعروف بابن القيم الجوزية تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، ط/ ١٤ عام ١٤٠٧هـ ، مؤسسة الرسالة.

٢١ ـ (سنن ابن ماجة) لأبي عبد الله بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ببيروت.

٢٢ ـ (السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية) للدكتور عبد الكريم زيدان ، ط/١ عام ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة .

٢٣ ـ (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط/٢ عام ١٣٩٧هـ ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر.

٢٤ ـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني ، ط/ عام ١٤٠٤هـ ، بحث أكاديمي بباكستان .

٢٥ ـ (صحيح الإمام البخاري) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، المكتبة الإسلامية بتركيا.

٢٦ ـ (صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ الفتح الكبير) لمحمد بن ناصر الألباني ،ط/٣ عام ١٤٠٢هـ ،المكتب الإسلامي ببيروت

٢٧ ـ (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٢٨ ـ (صيد الخاطر) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تحقيق محمد عبد الرحمن عوض ط/٣ عام ١٤١٠هـ ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٢٩ ــ (طرق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز، ط/٦ عام ١٩٧٨م الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت.

٣٠ ــ (ظاهرة المحنة ، محاولة لدراسة سننية) للدكتور خالص جلبي ط/١ عام ١٤٠٠هـ ، دار القلم.

٣١ ــ (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ط/٤ عام ١٤٠٠هـ ، دار الآفاق الجديدة ببيروت.

٣٢ ــ (فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٣٣ ــ (الفروق في اللغة) لأبي هلال العسكري ط/٣ عام ١٩٧٩م ، دار الآفاق الجديدة ببيروت.

٣٤ ــ (في ظلال القرآن) لسيد قطب ط/٣ ، عام ١٣٩٧هـ ، دار الشروق.

٣٥ ــ (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ببيروت.

٣٦ ــ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) لعلي بن أبي بكر الهيثمي ط/٣ عام ١٤٠٢هـ ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٣٧ ــ (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه) جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط/١٣٩٨هـ .

٣٨ ــ (مدارج السالكين بن منازل إياك نعبد وإياك نستعين) لأبي

عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد عام ١٩٧٢م ، دار الكتاب العربي ببيروت .

٣٩ ــ (مسند الإمام أحمد بن حنبل) دار صادر بيروت .

٤٠ ــ (المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي مطبوع على حاشية إحياء علوم الغزالي .

٤١ ــ (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ببيروت .

٤٢ ــ (النهاية في غريب الحديث والأثر) لأبي السعدات المبارك بن محمد الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة الإسلامية .

٤٣ ــ (نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار) لمحمد بن علي الشوكاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

* * * *